

الحمد لله رب العالمين

لله الحمد
فرب العالمين

حَمْدُهُ أَمْ لِكَسْ بِالصَّيْرَةِ

www.dawatmemoo.com

ذَلِكَ الْبَرْ كَثِيرٌ

من - عبد

(١١)

خَيْرَةُ أَمَّ الْخَيْرِ الْبَصَرِيَّةِ

* مولاة أم المؤمنين أم سلمة ، راوية للحديث النبوى ، ذكرها ابن حبان
في الثقات ، روى لها الجماعة كلهم إلا البخاري .

خَيْرَةُ أُمِّ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

أُمُّ الْعُلَمَاءِ :

* قصدت المرأة في عصر التابعين لفنون العلم ، وأمعنت في ذلك إمعاناً ساپقت فيه الرجل ، فكان لها الأثر المحمود في مجالات نافعة ؛ منها الرواية .

* والتابعية التي نحن بقصد دراسة مسيرتها ، إحدى هؤلاء النساء من سُكِّبِ هنْ الخلود في دنيا المعرفة ، وذلك لما كانت عليه من علم ورُزْهـ وفـقـهـ ، نـاهـيـكـ بـأـنـهـاـ ولـدـتـ رـجـلـينـ كـانـاـ مـنـ أـعـظـمـ رـجـالـ الدـنـيـاـ عـلـمـاـ وـفـضـلاـ وـرـزـهـاـ وـأـدـبـاـ .

* فأولهما وأشهرها : الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري الأنصارـيـ ، شـيخـ أـهـلـ الـبـصـرـةـ ، وـسـيدـ أـهـلـ زـمانـهـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـ ، قـالـ عـنـهـ مـحـمـدـ بـنـ سـعـدـ رـحـمـهـ اللـهـ - :

كـانـ الـحـسـنـ رـحـمـهـ اللـهـ جـامـعاـ ، عـالـماـ ، رـفـيـعاـ ، فـقـيـهاـ ، ثـقـةـ ، مـأـمـوـناـ ، عـابـداـ ، نـاسـكـاـ ، كـبـيرـ الـعـلـمـ ، فـصـيـحاـ ، جـبـلاـ ، وـسـيـاـ^(١) .

وقـالـ عـنـهـ الـذـهـبـيـ رـحـمـهـ اللـهـ - :

(١) الطبقات (١٥٧/٧).

كان رجلاً قام التُّشكِلُ ، مليح الصُّورة ، بهياً ، وكان من الشَّجعان
الموصوفين ^(١) .

* وثانيهما : سعيد بن أبي الحسن يسار البصري ، من ثقات
التابعين ، حدث عن أمّه ، وتخرج في مدرستها ، وثقة النسائي وغيره ،
وكان من خيرة الزهاد العباد ، وكان يُسعى راهباً لدينه ، وحديثه في
الدواوين كلّها - رحمه الله تعالى - .

* أمّا والدة هذين العلميْن الخيرين ، فهي خيرة أمّ الحسن البصري ،
وتعْرُفُ بِأُنْهَا مولاًة أمّ سلمة ^(٢) أمّ المؤمنين ، رضي الله تعالى عنها وعن
أمّهات المؤمنين .

* كانت خيرة - رحْمَهَا اللَّهُ - من قضليات نساء عصر التابعين ،
ومن ثقائهن ، ومن تلقين العلم عن أمّهات المؤمنين ، ومن رأيهن ،
وأخذن عنهن كثيراً من الأحكام النافعة .

* * *

خِيرَةُ وِدَائِهُ خِيرَةٌ :

* كانت خيرة أم الحسن البصري مولاًة لأم سلمة أم المؤمنين
المخزومية - رضي الله عنها - . أمّا زوجها يسار فكان من سبّي

(١) سير أعلام البلاء ٥٧٢/٤ .

(٢) الطبقات (٤٧٦/٨) ، ووفيات الأعيان (٦٩/٢) ، وأمالى المرتضى

(١٥٢/١) ، وتحبيب التهذيب (٤١٦/١٢) .

« ميسان »^(١) ، سكن المدينة المنورة وأُعيق ، ثم ما لبث بعد ذلك أن تزوج من امرأة فاضلة هي خيرة مولاة أم سلمة – رضي الله عنها – ، وذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – .

* وكانت خيرة من خيرة الزوجات مع أزواجهن إذ كانت ترعى شؤونه ، وتقوم على أمره دون أن تخل في خدمتها لأم سلمة – رضي الله عنها – . وقد من الله عز وجل على هذين الزوجين الخلصتين بخيرة الذرية الصالحة التي حفظت حياتهما فيها بعد عن طريق العلم الذي يزَّين الإنسان ويحيي ذكره ، فقد ولدت ابنها الحسن لستين بقيتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، أبي في سنة (٢١ هـ) .

* وفي مدرسة أم المؤمنين أم سلمة تخرجت خيرة ورثة عنها ، كما أنها روت عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – .
 * وروى عن خيرة عدد من جلة التابعين رجالاً ونساء ، فأما من روى عنها من الرجال : فابنها الحسن وسعيد ، وعلي بن زيد بن جذنان^(٢) ، ومعاوية بن قرة المزني^(٣) وهو لواء من صورة التابعين وأكابرهم وتقاطبهم .

(١) قال باقوت الجموي : « ميسان » : كورة واسعة كثيرة الغرس والخل (معجم اللدان : ٤٢/٥) .

وقال السعاني : هي نبتة بأسفل العبرة .

(٢) هو مخلي بن زيد بن عبد الله بن رهيم بن جذنان ، أبو الحسن الفرضي الشعبي البصري : فقيه ، أحد علماء التابعين ، من حفاظ الحديث الآمة . قال الترمذى : صديق ، وقال أحمد : ضعيف . وقال الذهبى : أحد أوعية العلم في زمانه . توفي سنة (١٢٩ هـ) .

(٣) معاوية بن قرة بن إياض : الإمام الثقة ، أبو إبراهيم المزني البصري التابعى ، والده =

* وأمّا من روى عنها من النساء ، فسيّدة التّابعيات حفصة بنت سيرين أمّ الهديل الأنصارية البصرية ، التي قال عنها إياس بن معاوية : ما أدركت أحداً أفضله عليها . وحفظت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة ؛ وفضلها إياسٌ على الحسن البصري ، وعلى أخيها محمد بن سيرين في العلم والعبادة .

* وقد روت خيرة أنها رأت أم سلمة زوج النبي ﷺ تصلّى في درع ونمّار .

* وقد روى لها الجماعة كلّهم إلا الإمام البخاري - رحمة الله - .

* * *

خيرة وأم سلمة :

* كانت خيرة - رحمة الله - ملازمـة لأم سلمة - رضي الله عنها - ، فهي مولاـة لها ، وكانت تخدمـها وتقومـ على شؤونـها من أعمالـ في البيت ، أو عناية بأولادـها ، والقيامـ على أمورـهم وما يصلاحـهم .

* فقد روى الحسن عن أمـه خيرة أنها كانت ترضـع لأمـ سلمة أمـ المؤمنـين - رضـي الله عنها - .

= المفاضي إياـس ، روى عن عدد من الصـحابة وروى عنه أكـابرـ التـابـعين . ونـقـهـ النـسـانـيـ وابـنـ معـينـ والعـجـلـيـ ، وأبـوـ حـاتـمـ وابـنـ سـعـدـ ، وذـكرـهـ ابـنـ حـبـانـ فـيـ النـقـاتـ وـفـالـ عـنهـ : كـانـ مـنـ عـقـلـاءـ الرـجـالـ ، وـمـنـ كـلامـهـ : لـا تـحـالـلـ بـعـلـمـكـ السـقـهاـ ، وـتـحـالـلـ جـسـدهـ الـعـلـمـاءـ . تـوـفـيـ سـنةـ (١١٣ـ هـ) وـلـهـ (٧٦) سـنةـ - رـحـمـةـ اللهـ . (سـيـرـ أـعـلـامـ النـبـلـاءـ : ١٥٣/٥ - ١٥٥) ، وـ (تـهـذـيبـ النـهـذـبـ : ٢١٦/١٠ وـ ٢١٧) .

* ويبدو أنَّ خيرَةَ كانت تتفاني في خدمة أم سلمة - رضي الله عنها - ، وكانت أم سلمة تحسُّن إلى خيرَةِ أَفْضَلِ إِحْسَانٍ إِذَا مَا أَرْسَلَتْهَا لِحاجتها ، فقد وردَ أَنَّ أمَّ سلمةَ - رضي الله عنها - كانت تبعُثُ خيرَةَ في الحاجة ، فتشتغلُ عن ولدها الحسن وهو رضيع ، فيكِي ، فتشاغله أم سلمة بشدِّها في مداران عليه فيرتفع عنهما ، فكانوا يرون أنَّ تلك الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بِرَّةِ تلك الرِّضااعةِ من الشَّيْءِ المنسوب إلى رسول الله ﷺ .

* وما ورد أيضاً أنَّ امَّ سلمةَ - رضيَ اللهُ عنْهَا - كانت تُخْرِجُ
الْحَسْنَ وَهُوَ صَغِيرٌ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا يَدْعُونَ لَهُ ، فَأَخْرَجَتْهُ
مَرَّةً إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضيَ اللهُ عنْهُ - فَدَعَا لَهُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ فَقِهْهُ
فِي الدِّينِ ، وَحَبِّهِ إِلَى التَّاسِ^(١) .

* وهذه نالت خيرة في ابنها الحسن برقة دعاء سيدنا عمر ، فكان من خيار التابعين ، وكان الرجل إذا نظر إلى الحسن اتفق به ، وإن لم يز عمله ولم يسمع كلامه ، وعنه قالوا : ذاك الذي يشبه كلامه الأنباء .

* ولعل خيرة أم الحسن قد أفادت كثيراً من حفظ أم سلمة ومعارفها لانقطاعها إليها ، فأم سلمة - رضي الله عنها - من الصحابيات المكررات لرواية أحاديث النبي ﷺ ؛ تأهيلها زوجها علية الله ، ولعلها أكثر امرأة روت الحديث وحفظته بعد أم المؤمنين عائشة - رضي الله

(١) انظر البداية وال نهاية (٢٧٨/٦)، ورهنات الأعیان (٢/٦٩ و ٧٠)، وسير أعلام النساء (٤/٥٦٤ و ٥٦٥).

عنها ، فقد روت أم سلمة (٣٧٨ حديثاً) ، وهذا العدد المبارك من الأحاديث جعلها في مقدمة الفقيهات العالمات . ومن هذا الباب انتفعت خيرة بالرواية عنها ، والاستفادة من علومها – رضي الله عنها –

* * *

مع أئبها الحسن :

* أوقيت خيرة – رحمها الله – خيراً كثيراً ، ملازمتها أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – ، وقد كانت هذه التابعية جيدة الفهم ، كثيرة الحفظ والضبط ، فقد ذكرها ابن حبان – رحمه الله – في الثقات .

* وكانت خيرة – رحمها الله – تجلس إلى النساء وتعظهن ، وترشدهن إلى الأحكام التي تلقنها عن أم المؤمنين عائشة ، وأم سلمة – رضي الله عنهما – . ويبدو أن خيرة كانت تعتد بنفسها وبخفيظتها بعض الشيء ، وترى أنها فوق ابنة في العلم والمعرفة ، فمن طريف ما يروى في هذا ، ما أورده ابن حليkan في «الوقيات» عن الحسن وأمه قال : كانت أمها – خيرة – تقص على النساء ، ودخل عليها الحسن – يوماً وفي يدها كراتة تأكلها ؟ فقال لها : يا أماه ، ألم يقي هذه البقلة الخبيثة من يدك .

فقالت : يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت .

فقال : يا أماه ، أينا أكبر ؟ !!

(١) وقيات الأحيان (٧٢/٦) ، وانظر تهذيب التهذيب (٤٦٦/١٢) .

* ومن هذا الخير الطَّرِيف ، نستدل بِأَنْ خَيْرَةَ قَدْ عَمِرتْ دَهْرًا لَقُوَّهَا
لَا يَبْلُغُهَا الْحَسْنُ^(١) إِنَّكَ قَدْ كَبَرْتَ وَخَرَفْتَ . وَلَكِنَّنَا لَا نُسْتَطِعُ تَحْدِيدَ زَمْنِ
وَفَاتِهَا . وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّهَا تَوَفَّتْ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْهِجْرِيِّ الْأَوَّلِ ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

* رَحِمَ اللَّهُ خَيْرَةَ أُمِّ الْحَسْنِ ، وَأَحْسَنَ مَثَواهَا ، وَجَعَلَهَا مَعَ الْأَنْبِيَارِ
الْأَبْرَارِ فِي مَسْتَقْرِرِ رَحْمَتِهِ .

* * *

(١) تَوْفِيَ الْحَسْنُ سَنَةً (١١٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ .